الأمير عبد المالك الجزائري وثورته بالمغرب الأقصى 1914-1924

قاصري محمد السعيد[2]

الملخص:

يندرج هذا المقال ضمن تاريخ السير والتراجم الجزائرية، ويتعلق الأمر هنا بشخصية الأمير عبد المالك الجزائري الذي ذاع صيته وشهرته في المغرب الأقصى، وهذا من خلال ثورته ضد الاستعمار الفرنسي التي امتدت طيلة عقد من الزمن 1914-1924.

وفي هذا المقال سنتناول جوانب مضيئة من شخصيته، ومن مسيرته الجهادية في المغرب الأقصى، التي تحتاج في نظرنا إلى المزيد من البحث والدراسة، آملين أن نكون قد ساهمنا في التعريف بهذه الشخصية الجزائرية، وبنشاطها الثوري في المغرب الأقصى، من خلال النقاط التي طرحناها والمسائل العالقة التي حاولنا أن نُجيب عنها.

Abstract:

The Algerian's prince Abdul Malik is one of those who are notorious in Morocco after the revolution Was led by for 10 years from the year 1914 to 1924. In this article we have tried to show illuminated aspects of his personality or his career, and his saint-war in Morocco, it is a topic that needs further research and study. we hope that we would contributed to the achievement a scientific article befitting this personal and hisrevolutionary activity in Morocco.

[2]– أستاذ بقسم التاريخ، جامعة المسيلة، الجزائر.

مقدمة:

سأفتتح هذا المقال بما كتبته الأميرة بديعة[1] حول جدّها الأمير عبد المالك: «لقد آن الأوان كي يُعيد المؤرخون والباحثون كتابة تاريخ أبطالنا الذي تم التعتيم عليه من قبل الأعداء والمغرضين الذين تحكموا بالعقول وفرضوا عليها قناعات مُزيفة...ومن أهم المواضيع التاريخية التي تحتاج إلى البحث وإعادة النظر سيرة الأمير عبد المالك النضالية[2].

أما المؤرخ سعد الله فيقول بشأنه: «وقد ضاع جُهده في تاريخ المغرب السياسي لأنه عاش في فترة مضطربة...فكانت جُهوده في تحرير المغرب من الفرنسيين غير معتبرة من الدارسين المتأخرين، كما أن الجزائريين ما يزالون يجهلون حركته ونحن لا نُبعد صفة المغامرة عما قام به الأمير عبد المالك في المغرب، ولعل المغاربة سينصفونه بعد تصفية الزبد من الغثاء»[3].

إن هذا الموضوع في نظرنا لم يحظ باهتمام الباحثين الجزائريين عدا ما خصّه به سعد الله في مؤلفاته[4]. وعليه سنسعى من جهتنا لتثمين هذا الجهد وسد هذا الفراغ بما توصلنا إليه من معطيات تاريخية، استقينا بعضها من حفيدته الأميرة بديعة أثناء زيارتنا لمدينة دمشق خلال شهر جويلية 2008؛ وبعضها الآخر استقيناه من مصادر ومراجع مختلفة سواء بالمغرب أو بأرشيف مدينة ايكس أون بروفانس بفرنسا[5]. وستتم معالجتنا لهذا المقال كما يلي:

1-التعريف بالأمير عبد المالك:

1-1.مولده ونشأته: ولد بمدينة دمشق سنة 1868م[6]، توفي والده وهو ما يزال صغيرا فعاش طفولته في حضن والدته شفيقة الأذربيجانية الأصل التي تنحدر من مدينة دربند[7]. نشأ في ربوع مدينة دمشق وزاول تعليمه الأول بمسقط رأسه على يد نفر من العلماء كالشيخ طاهر الجزائري[8] والشيخ مصطفى التهامي إمام المالكية في الجامع

الأموي بدمشق[9]، ثم انتقل إلى الآستانة لمواصلة دراسته في المدرسة الملكية. كان يتطلع منذ صغره إلى الالتحاق بالكلية العسكرية باستانبول؛ ونظرا للخصال التي كان يتمتع بها وإتقانه إلى جانب اللغة العربية اللغتين التركية والفرنسية، يكون قد نجح في الالتحاق بهذه الكلية[10].

1-2.التحاقه بالكلية العسكرية باستانبول: كان حريصا في الاستفادة من الدروس التي كان يتلقاها على يد أساتذته في الفنون الحربية، ويضاف لهذا الحرص قراءة القرآن الكريم وتفسيره، ومطالعته لمختلف الكتب التي تزخر بها مكتبة الكلية. فأثمر هذا الجهد نجاحه بتفوق كبير وتخرجه برتبة عقيد في الجيش العثماني. ونظرا لخصاله الحميدة وتفوقه في الفنون الحربية لفت إليه انتباه السلطان عبد الحميد الثاني (ت1918م)[11] فاهتم به وقرّبه إليه، ومن بين الوظائف العسكرية التي أسندها له رتبة مقدم وجعله ياورا أي أحد قادة الحرس السلطاني[12].

1-3. زواجه: تذكر حفيدته بناء على رواية جدتها فاطمة أن الأمير عبد القادر خطبها –أي جدتها–من أبيها نقيب الأشراف عبد اللطيف العجلاني إلى ابنه عبد المالك وهو لا يزال في الكلية العسكرية باستانبول سنة 1882، وتم زواجها في بيت والدها الكائن بحي الشاغور بدمشق لأن عبد المالك لم تكن له دارا خاصة به بعد وفاة والده سنة 1883، وفي هذا البيت أنجبت ابنتهما شفيقة –والدة الأميرة بديعة– ثم محي الدين وحسن وبدرية[13].

وبعد تعيينه في منصبه الجديد التحقت به زوجته برفقة أبنائها، فاجتمع شمل العائلة في قصر يلدز على ضفاف الدردنيل. لكن السعادة التي كانت تجمعهم كانت تتخللها بعض الهواجس والأفكار التي كان يطرحها عبد المالك على زوجته؛ كتطلّعه إلى تحرير وطنه الجزائر من الفرنسيين، وعدم قبوله بالمنصب العسكري الذي يشغله في

اسطنبول..الخ. وبعد مرور عدة سنوات من الاستقرار ببلدز اشتد حنين زوجته إلى أهلها بدمشق فطلبت منه السماح لها بزيارتهم، فأذن لها بذلك.

استغرقت زيارتها شهرا كاملا ثم عادت إلى استانبول، وكم كانت دهشتها كبيرة عندما فتحت بيت زوجها ولم تجد أغراضه المعهودة، ثم سرعان ما لفت انتباهها وجود ورقة على الطاولة كتب عليها: «أرجوك عودي إلى دمشق وانتظري رسالة مني، أرجو ألاّ تقلقي وسلّمي أمرك لله عز وجل»[14]. وعندما فكّرت في مقابلة السلطان وصلتها رسالة منه يطمئنها عن نفسه، ويعدها بأنه سيطلب منها الالتحاق به بعد أن يستقر به الحال[15]. وهذا ما سنراه في العنصر الموالي:

2-التحاقه بالمغرب الأقصى: استغل فرصة زيارة زوجته لأهلها؛ وخرج من بيته متنكرا في هيئة تاجر، ثم استقل إحدى البواخر المتجهة نحو مصر، ونظرا لعدم توفره على الوثائق اللازمة لمواصلة رحلته اشترى جوادا يركبه وجملا يحمل عليه أمتعته ثم سلك طريق البر عبر الصحراء الليبية، وبعد أن قطع مسافة معتبرة استوقفته إحدى العائلات فاستراح؛ ثم واصل رحلته بمحاذاة المدن الساحلية نحو تونس. وهنا تتوقف حفيدته في سرد تفاصيل قصة وصوله إلى فاس، ومن جهتنا فإن المرجعيات التاريخية التي اعتمدنا عليها لم تتحدث هي الأخرى عن هذه النقطة مما سيضل حلقة مفقودة في هذه الرحلة. وهو ما يدفعنا إلى تساؤل مفاده: كيف وصل إلى المغرب؟ هل سلك طريق البحر مرة أخرى متنكرا بلباس تاجر متجول انطلاقا من تونس؟ أم سلك طريق البر عبر الجزائر؟ مع استبعادنا لهذا الطرح نظرا للرقابة الفرنسية القاضية بمنع أبناء الأمير عبد القادر من دخول الجزائر، ولعل تجربة شقيقه محي الدين[16] ومحاولته الفاشلة الدخول سرا إلى الجزائر سنة 1871 لا تزال راسخة في ذهنه[17].

2-2.وصوله إلى مدينة فاس وأهم الأعمال التي قام بها: تكتفي حفيدته في سرد قصتها بظهور عبد المالك فجأة بمدينة فاس[18]. التي نزل بأحد فنادقها وكان يخرج بين

الحين والآخر لقضاء حاجياته وللتجول في شوارعها والتعرف على سكانها، كما كان يود ترتيب زيارة إلى السلطان عبد العزيز(ت 1944م) [19]، وقبل الإقدام على هذه الخطوة قام بمراسلة ابن عمه وصهره–زوج أخته–الأمير محي الدين لاستشارته في الأمر. وبعد فترة من الزمن أجابه بما يلي: «بأن ذلك السلطان لم يكن كغيره وأنه يتمتع بسمعة جيدة، وأنه ((إذا عَزَمْتَ فتوكَّل علَى اللهَ وأقدِمْ ولا تَخَفْ)) »[20].

لم يتوان عبد المالك في مقابلة السلطان الذي استقبله بحفاوة كبيرة، وعرض عليه منصبا ساميا في الجيش، فكانت هذه الخطوة تحتاج إلى مشورة أخرى. وقبل التطرق إليها أود الإشارة إلى مسألة أخرى مفادها أن عبد المالك كتب رسالة إلى زوجته عنوانها مدينة فاس تضمنت مقابلته للسلطان، وأنه أسكنه دارا جيدة وعرض عليه منصبا في الجيش، وبعدما يستقر به المقام سيطلب انضمام عائلته إليه[21]. أما المشورة بشأن تعيينه في منصب عسكري فلقد راسل بشأنها الأمير محي الدين من خلال الرسالة المؤرخة في شهر رمضان 1321هـ/ 1903م، التي تضمنت الجواب عن رسالة محي الدين التي وردت على عبد المالك بواسطة الحاج علي أبو طالب (ت 1909م)[22]. ومما جاء فيها: تواجده بفاس، والتقائه بالسلطان عبد العزيز، اقتراح السلطان بتعيينه في منصب عسكري ووقوعه في حيرة من أمره..الخ[23]. لكن هذه الحيرة ستزول فيما بعد بقبوله لهذا المنصب الذي سيساعده في تحقيق مشروعه التحرري في المغرب والجزائر. وهذا ما سنعرفه من خلال العناصر الموالية:

2-3.انضمامه إلى مقاومة الشيخ بوعمامة وحركة الجيلالي الزرهوني: بعد وصوله إلى المغرب انظم إلى بوعمامة[24] حسب الحجوي: «فظهر له أن يذهب عند أبي عمامة الذي كان إذّاك قرب فجيج لعله يمده بجيش يعمل به عملا يكون له به ذكر تاريخي فذهب إليه وأقام عنده»[25]. لكن سعد الله لا يزال غير مطمئن لهذه المسألة؛ رغم تأكيد الأمير حسن[26] له بانضمام والده إلى بوعمامة من خلال المقابلة التي أجراها معه

بدمشق في صيف 1968 [27]. ويوعز بنمنصور أسباب التحاق عبد المالك بالمغرب عموما وببوعمامة خصوصا إلى فرنسا: «فأوعزت فرنسا في هذا الوقت بالذات إلى عميلها عبد الملك...بالدخول إلى المغرب لينفخ في نار الفتنة، فجاء إلى مليلية...ومنها دخل إلى ناحية وجدة، فبقي يتجول فيها باحثا عن الأرض الصالحة لبذر بذور فتنته وفساده...إلى أن اهتدى إلى المنطقة التي يصول فيها بوعمامة ويجول، وهي منطقة الظهرا، فالتحق به فيها، وحاول أن ينشئ من أنصاره ومريدي زاويته جيشا نظاميا يتولى هو قيادته ويقتطع به الأراضي الواقعة بين الحدود الجزائرية المفروضة وبين نهر ملوية من مملكة المغرب منشئا فيها إمارة مستقلة في الظاهر موالية لفرنسا في الباطن»[28]. وليت هذا المؤرخ توقف عند هذا الحد بل ذهب إلى القول: إن هذا المشروع قديم حاول الأمير عبد القادر أن يحققه في الماضي بعدما تغلب عليه الفرنسيون لكنه فشل في ذلك[29] ، وهذا الطرح المغربي سنجد له ما يفنده فيما بعد.

لم يمكث عبد المالك عند بوعمامة وقتا طويلا، ويفسر الحجوي سبب ذلك بقوله: «فذهب إليه وأقام عنده ما كان يؤمل إذ بوعمامة كدار تجارة ليس لها رأس مال وإنما هي دار سمسرة وتوسط ليس لها إلا فخامة الإعلانات»[30]. ويعقِّب بنمنصور عن هذا القول بأن عبد المالك تخلي عن بوعمامة ببوحمارة لأنه أكثر منه مالا وأعز نفرا، فربما يتحقق على يده أو بواسطته ما لا يمكن تحقيقه على يد أبي عمامة[31]. وربما يعود تخلي عبد المالك عن بوعمامة إلى الفارق الكبير في التكوين العسكري لعبد المالك، عكس بوعمامة الذي لم يكن له أي تكوين عسكري رسمي[32].

في ظل هذا التوتر وردت على بوعمامة رسائل من بوحمارة[33] يدعوه إلى الانضمام إليه وتأييده لإنقاذ المغرب من أيدي الخونة[34]، ويقصد بذلك السلطان الذي فتح الباب على مصراعيه أمام الأطماع الأجنبية؛ ناهيك عن السخط السائد في

الأوساط الشعبية المغربية التي كانت تردد: «إن السلطان يبيع بلاده إلى الكفرة»[35]. فكيف تعامل بوعمامة مع هذه المسألة؟.

يرى بنمنصور أن بوعمامة كان ميالا بطبعه إلى الفتنة والفوضى! فرحّب بهذه الدعوة وسارع إلى قبولها، كما أن عبد المالك من جهته وحسب بنمنصور دائما يكون قد حبّب إليه هذه الدعوة وزيّنها له، وأشار عليه أن يبعثه هو وولده الطيب في لمة من الخيل إلى أبي حمارة يحملون إليه البيعة وقبول الدعوة؛ فازداد بوعمامة بتغرير عبد المالك غرورا، وأرسل معه ولده ووفده حسب اقتراحه!. أما من جهتنا فإننا نعتقد أن قبول بوعمامة لدعوة بوحمارة مردها عدة أسباب:

1-التقاء مصلحة بوعمامة مع بوحمارة وهي التصدي أولا للجيش الفرنسي؛ ومحاربة الفساد الذي يعاني منه المغرب.

2-تقديم بوحمارة لنفسه إلى بوعمامة وأنصاره على أساس أنه السلطان الشرعي مولاي أمْحمد الذي اغتصب منه العرش من طرف شقيقه عبد العزيز[36]، وبالتالي فبوعمامة وقف إلى جانب السلطان الشرعي مولاي أمْحمد.

3-تّوتر علاقة بوعمامة بالسلطان، كونه حرّض القبائل المغربية ضده تلبية للمطالب الفرنسية. وعلى اثر دعوة بوحمارة لبوعمامة؛ قام هذا الأخير بإيفاد كل من الأمير عبد المالك وولده الطيب بوعمامة كمبعوثين عنه، فاستقبلهما بحفاوة كبيرة وأكرمهما وفرح بمقدمهما[37]. وعليه فما هو موقِع عبد المالك في مخزن بوحمارة؟. وقبل أن نجيب عن هذا السؤال أود الإشارة إلى أن حفيدته ترفض رفضا قاطعا انضمام جدها إلى بوحمارة، وأن بوحمارة هو من عارض مقاومة الأمير عبد القادر[38]. ويبدو هنا أن حفيدته اختلط عليها الأمر في عدم التمييز بين موسى الدرقاوي الملقب بأبي حمارة الذي استشهد في ثورة الزعاطشة سنة 1849 [39]، وبين الجيلالي الزرهوني الملقب أيضا ببوحمارة الذي ينحدر من قبيلة زرهون بالمغرب. وكنا نعتقد أن هذا الأمر مجرد سهو

وقع في كتابها أصحاب الميمنة، غير أنها أكدت لنا بنفسها هذا الطرح في المقابلة التي أجريناها معها. وعندما أشرنا لها بوجود مصادر ومراجع أجنبية[40] وجزائرية[41]ومغربية [42] تؤكد هذه المسألة، ظلّت مُصرة على فكرتها التي تقول إنها استقتها من جدتها، وهو رأي نحترمه على أية حال.

لقد لعب عبد المالك دورا كبيرا في مخزن بوحمارة؛ أي في مواجهة السلطان[43] وأعوانه من الفرنسيين؛ فحارب معه فترة[44] خاض خلالها حوالي 26 معركة، ونظرا للجروح التي تعرض لها بوحمارة؛ كلّف وزير حربه عبد المالك بقيادة المعركة بالنيابة عنه، فواصل احتلال قصبتي مكناسة الفوقية والتحتية الموجودتان بمسون[45]، وبعد أن تماثل للشفاء عاد من جديد لتولي القيادة، ونظرا للمكانة التي حظي بها عبد المالك عند أنصار بوحمارة[46]؛ دبّ الحقد والحسد في نفسه فبات يرى فيه منافسا قويا له، فأقلب له ظهر المِجَنّ[47]، وعليه يمكننا أن نتساءل كيف كان موقف عبد المالك من هذه التصرفات؟.

2-التحاق الأمير عبد المالك بالمخزن العزيزي[48]: جاء موقف عبد المالك صارما وسريعا؛ إذ سرعان ما تخلى عن بوحمارة والتحق بالمخزن العزيزي؛ ويبرر البعض هذا الموقف بما يلي: «فمن المرجح أن عبد المالك، وبعد فشله مع بوعمامة في اقتطاع أجزاء من الأراضي المغربية... وجد كذلك أن آماله لن تتحقق مع بوحمارة، الذي أبعده بعدما أحس أن وجود منافس له نفس الطموح بجانبه أخطر من عدمه»[49]. بينما سعد الله يقدم لنا مبررا آخر مفاده: «وعندما ألقى بوعمامة السلاح سنة 1904 انظم الأمير إلى الثائر المغربي بوحمارة...ولكنه اكتشف أن حركة هذين الثائرين كانت فردية فانظم إلى السلطان مولاي عبد العزيز»[50]، أما حفيدته فهي تبرر انضمام عبد المالك إلى السلطان بهدف الوصول إلى زعماء القبائل في الريف المحتل من طرف فرنسا وتعبئتهم للثورة[51]؛ هذا إلى جانب ما ذكره الخلوفي عن مسألة وجود عناصر جزائرية في صف

بوحمارة، وأنه لا ضير في ذلك، بل وجودهما يفسر استمرارية الجهاد في سبيل الله لأجل إنقاذ دار الإسلام المهددة[52].

لعب الحجوي دور كبير في استقطاب عبد المالك: «ولما سمعنا بمغاضبته لأبي حمارة كتبت إليه أن يأتي عندنا في أمان...فاستشار أبا عمامة في ذلك، بل أشار على بوعمامة أن يصطلح مع المخزن...وبيّن له أحوال الثائر وما شهده منه من المكر والخداع وقلة المرونة وضعف الديانة»[53]. ولم يكتف الحجوي بذلك بل أشار عليه بمراسلة الطيب بوعمامة وإقناعه بضرورة التخلي عن بوحمارة والانضمام إلى السلطان[54]؛ وهو ما تم فعلا حيث قدم الطيب بوعمامة إلى وجدة[55].

إلا أن عامل وجدة عبد الرحمان بن عبد الصادق ألقى عليه القبض يوم 6 جويلية 1905[56]ووضعه في السجن[57]، فطلب عبد المالك من الحجوي[58]نقل الطيب بوعمامة إلى مدينة فاس، ولقد صحبه في هذه الرحلة القائد إدريس منو[59] بتدخل من الوفد الذي كان يرأسه أحمد الركينة[60]، بينما يذكر برحاب أن الطيب بوعمامة تم نقله على عجل إلى سجن طنجة أولا، ثم نقل إلى السجن بفاس منتصف شهر أوت 1905، لكن "**لويس أرنو**" يرى أن السلطان سجن الطيب بوعمامة بموكادور للاحتفاظ به كرهينة وإبعاد والده عن بوحمارة، ثم يذكر بشأنه: إنه وصل إلى طنجة ليركب سفينة"Galilée" المتوجهة إلى الجزائر التي مكث بها إلى غاية شهر جوان 1906 [61]، هذا بخصوص الطيب بوعمامة.

أما عبد المالك فبعد التحاقه بالمخزن تولى منصبا في محلة السلطان التي كان يشارك في حروبها ويحضر القتال معها[62]، وخصوصا المحلات العسكرية التي وُجّهت إلى مدينة الشاون ونواحي كتامة[63]، وحسب الحجوي فإن المخزن جعل له مئونة أحسن مما كان عليه في وجدة. ويذكر سعد الله أن السلطان قام بتعيينه قائدا لجيوشه في منطقة

القصر الكبير[64]، بينما يرى البعض أن قضيته طرحت من طرف فرنسا في مؤتمر الجزيرة سنة 1906التي عينته قائدا لقوات الشرطة الشريفية في طنجة[65].

وأثناء قيام الصراع العزيزي–الحفيظي، عهد المخزن له بقيادة الجيش لمواجهة عبد الحفيظ[66]، لكن التدخل الفرنسي لصالح هذا الأخير ساهم في إلقاء القبض على عبد المالك وسجنه بسجن الدكاكين بمدينة فاس؛ وهذا ما سنراه في العنصر الموالي.

3–اعتقاله ومحاولة الأمير خالد إطلاق سراحه: إن وفاء عبد المالك للسلطان عبد العزيز كان كافيا لاعتقاله[67]. ويذكر الحجوي أنه كان يقوم بزيارته سرا للتخفيف عنه[68]، أما حفيدته فتذكر بهذا الشأن: «إن السجن كان بالنسبة إليه ميدانا من ميادين الجهاد، وإنه عندما علم الأمير خالد بمكان اعتقاله، اكترى دارا قريبة منه، وأخذ يحفر نفقا حتى وصل إليه، وطلب منه الخروج معه بسرعة، غير أنه رفض الخروج بهذه الكيفية، وقال له: دخلت الغرفة من هذا الباب وسأخرج منه أيضا»[69]. لكن الحجوي يروي قصة أخرى مفادها أن الأمير خالد قام بتخدير السّجانين لكنه فشل في ذلك[70].

وفي هذه الأثناء حرّر رسالة إلى وزير خارجية فرنسا: «وبعدما قطعت البلاد طولا وعرضا أصبحت في صف المولى عبد العزيز؛ ووضعت على رأس محلة بالقصر، لكن المحلة خانتني وسجنت بفاس، وبدون دعم فرنسا سأستمر في السجن»[71]. ونظرا لحاجتها في الاستفادة من خدماته قامت فرنسا بالضغط على السلطان لإطلاق سراحه مقابل الاعتراف به كسلطان شرعي[72]. وبناء على هذا دخل عبد المالك في خدمة عبد الحفيظ الذي عيّنه نائبا لوزير الحربية[73] ، ثم مفتشا لقوات البوليس بطنجة، ويذكر السّليماني في هذا الشأن: «وقد ظهر من بسالته في تلك الحوادث العظيمة والأهوال المقيمة ما خضعت له الأبطال واستكانت لشجاعته الثوار...لذلك خطبته دولتنا الشريفة لرياسة عساكر الثغور، فلم يبق بحسن إدارته في تلك السوحل[كذا] خلاف

ولا نفور صان الله ساحته وأدام حراسته»[74]، ولقد ظل في منصبه إلى غاية 13 مارس 1915م[75].

لكن حفيدته تنفي أن يكون جدها رعية فرنسية كما تزعم هذه الرواية بل هو رعية عثمانية، والسلطان العثماني هو من توسط له لدى المخزن لإطلاق سراحه. وعندما خرج من السجن وجد مبلغا من المال في انتظاره وفّرته له عائلته من ريع أملاكه في بلاد الشام، فاستأجر دارا وكاتب زوجته يدعوها للالتحاق به برفقة أبنائه في سنة 1911، فاجتمع شمل أسرته[76].

وخلال الفترة الممتدة من 1912-1915 تسكت المصادر في الحديث عنه عدا ما ذكره جرمان عياش من كونه ظل متقلدا لوظيفة المفوض لقوات الأمن بطنجة إلى غاية شهر مارس 1915، وظهر فيما بعد في المنطقة الإسبانية، ويبرر لنا سبب ذلك ليتزعم الكفاح المسلح ضد الفرنسيين الذي كان عبد الكريم الخطابي يحاول من جهته إقحام الريفيين في غماره[77]. وحسب السليماني فعبد المالك خلال هذه الفترة كان متواجدا بطنجة حتى قيام الح. ع. 1 [78] ، لكن سعد الله يذكر لنا في موقف آخر أنه كان موجودا سنة 1914 بمدينة فيشي يتداوى من مرض الربو، كما زار اسبانيا خلال هذه السنة؟![79].

لقد رأى عبد المالك أن تعيينه في منصب قائد الشرطة بطنجة لا يليق بمقامه، وهذا ما صرح به للسيد "هاريس"[80] :إن الفرنسيين كانوا يضعون العراقيل باستمرار في وجه مطامحه[81]، لكنه وجد فيه فرصة لتحقيق مشروعه التحريري، فبدأ في تنظيم اتصالاته السرية مع زعماء القبائل لإقناعهم بالثورة ضد الفرنسيين[82]. وانطلاقا من موقعه ظل يترقب الفرصة للانقضاض على العدو، بعدما جمع كمية هائلة من السلاح، كما أن مرفأ طنجة مناسبا لتوريد السلاح، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإن المغرب خلال الفترة الممتدة من 1906-1914 بات مجالا خصبا للدعاية من طرف: فرنسا وألمانيا، والدولة العثمانية، فسعى كل طرف إلى استقطاب الشخصيات والعائلات التي لها نفوذ قوي في المجتمع المغربي، فسارعت ألمانيا إلى ترتيب اتصالاتها بالأمير عبد المالك الذي كان يتطلع إلى مثل هذه الفرصة. وحسب سعد الله فإنه قد تحالف مع أسوأ أعداء أعدائه ألمانيا والدولة العثمانية[83]. حيث اتفقتا على مساعدته، مما شجعه أكثر على إعلان ثورته.

4-إعلانه الثورة ضد الفرنسيين بالمغرب 1914-1924: يتجلى لنا تحالف عبد المالك مع ألمانيا والدولة العثمانية على اثر التعاون الذي أبداه لهما من خلال إعلام القائم بالأعمال الألماني بمعلومات سرية مفادها: إن فرنسا ستقوم بطرد ممثلي القوات المركزية في طنجة بعد اندلاع الح. ع. 1، وبفضل هذه الإفادة تمكن الدبلوماسي الألماني من حرق الأوراق التي كانت تجلب الإدانة له ولبلاده[84]، ويحاول البعض تبرير انضمام عبد المالك إلى الألمان بعدما ضبطت فرنسا مكالمته مع الألمان، حيث أصبحت حياته في خطر، وبالتالي فالمخرج الوحيد له من هذا المأزق هو العمل بجانب ألمانيا[85].

نحن نستبعد من جهتنا هذا الطرح لأن عبد المالك لا يمكنه أن يعلن الثورة على فرنسا جراء مكالمة هاتفية؛ بل إعلانه لها هو مشروع قديم خطط في السابق، ولم يكتف هذا الطرح المغربي عند هذه الحدود بل ذهب إلى الحكم على أن حركته حركة تمردية تبحث لصاحبها عن الجاه والسلطة وبعيدة عن أي اتجاه وطني أو تحرري![86].

بعدما تأكدت ألمانيا من موقفه المعادي لفرنسا اتصل به السفير الألماني بمدريد "الكونت دي رابتور" ملتمسا منه إيفاد مبعوثا عنه إلى مدريد للاتفاق على خطة عمل مشتركة، فأرسل عبد المالك ابنه محي الدين لهذا الغرض، ووقع الاتفاق على فتح جبهة ضد الفرنسيين في المغرب، ومحتوى هذا الاتفاق أن تتعهد كل من ألمانيا والدولة

العثمانية بمساعدته إذا نجحت هذه الخطة، التي مفادها إقامة مملكة واحدة تضم المغرب والجزائر[87]، ويرى عثمان بناني: إنه على اثر هذا الاتفاق غادر عبد المالك مدينة طنجة بعدما رهن بعض ممتلكاته وأرسل عائلته إلى اسبانيا[88]؛ وهذه مسألة تحتاج إلى توضيح أكثر.

توجه عبد المالك أولا إلى جبالة حيث كاد أن يلقى عليه القبض من طرف الفرنسيين لولا تدخل قائد بني منصور العياشي قلال[89]، بينما محمد أمطاط[90] يرى أن عبد المالك غادر طنجة باتجاه تطوان برفقة الإخوة البلغيثي[91]، وعندما تأكدت فرنسا من نواياه العدائية اعتبرته متمردا وطالبت اسبانيا بتسليمه لها، لكن اسبانيا رفضت ذلك، فقامت الإقامة العامة الفرنسية بتقديم رشوة للقبائل التي لجأ إليها قصد إلقاء القبض عليه وأسره، غير أن تراجع هيبة ومكانة فرنسا في أعين المغاربة، وارتفاع شعبية وسمعة عبد المالك حال دون ذلك[92]. وبغض النظر عن هذه الاختلافات التي ستتضح لنا من خلال ما ستُفيدنا به الوثائق التاريخية، نعود إلى الحديث عن جملة المعطيات التي راهن عليها في إعلان ثورته:

1-كسب ولاء القبائل والشخصيات الوطنية المغربية، كعبد الكريم الخطابي، والإخوة البلغيثي، أحمد الهيبة[93]، الذي أعلن الجهاد بعد مبايعته كسلطان في شهر أوت 1912م[94]، وأحمد الريسوني،...الخ.

2-المساعدات التي تعهدت كل من الدولة العثمانية وألمانيا بتقديمها له[95]. 3-التشجيع والدعم الذي تلقاه من المهاجرين الجزائريين بالمشرق العربي، وعلى رأس هؤلاء شقيقه الأمير علي[96]، وابن عمه الأمير مصطفى الذي التحق به في المغرب للغاية نفسها، حيث عمل عنده كمراسل حربي طيلة مدة كفاحه[97].

4-استقطابه للجنود المغاربة الفارين من الجيش الفرنسي على اثر انتفاضة أفريل 1912، وللجنود الألمان الذين فروا هم أيضا من سجون معسكرات دبدو في شهر أوت 1914 [98] ، هذا فضلا عن تكوينه العسكري وخبرته الميدانية.

5-المراهنة على العامل الجغرافي، كونه استقر في منطقة إستراتجية ما بين فاس–تازا، مما سيساعده على تهديد الوجود الفرنسي وفي نفس الوقت توحيد فصائل المقاومة جنوب الريف مع تلك المنتشرة في جبال الأطلس جنوب تازا[99]. وبناء على هذه المعطيات أعلن عبد المالك عن ثورته ضد الفرنسيين بالمغرب سنة 1914، ثورة اتخذ لها راية خضراء طرّزتها أنامل الأميرة شفيقة[100]، وكتب عليها ما يلي: كتب في السطر الأول: بسم الله الرحمان الرحيم، وفي السطر الثاني: الله أكبر، وفي السطر الثالث: الجنة تحت ظلال السيوف[101]. ويمكننا تتبع مراحل ثورته في الخطوة الموالي:

1-المرحلة الأولى: 1914-1918: من خلال الرسالة التي بعث بها إلى الأمير علي باسطانبول يوم 1914/11/14، والتي أشارت إلى تحقيقه لبعض الانتصارات على الفرنسيين بعد مرور شهرين من القتال يمكننا القول: إن تاريخ 1914/09/16 هو التاريخ الرسمي لانطلاق الثورة، غير آخذين بعين الاعتبار ما ذكره سعد الله من أن عبد المالك كان موجودا أثناء اندلاع الحرب 1 بفرنسا ثم باسبانيا فيما بعد[102]، وما أشار إليه عثمان بناني عندما ذكر أن عبد المالك ظل في منصبه بطنجة حتى 15 مارس 1915[103]!؟. ويمكننا تناول المعارك التي خاضها خلال هذه المرحلة كما يلي:

1-1 معركة الدار البيضاء: انطلقت ثورته أولا بإقليم تازة، ثم سرعان ما امتدت إلى الدار البيضاء أين ألحق خسائر بشرية ومادية بالعدو، وهذا ما أشارت إليه الرسالة التي بعث بها إلى الأمير علي باسطنبول في 14 نوفمبر 1914: «إن أول فوز أدركناه كان منذ شهرين عندما تمكنا من الاستيلاء على بطارية من العدو على اثر معركة شديدة دارت بيننا وبينه وكتب الله لنا الفوز عليه...هاجمنا بنفوس تستحقر الموت

مراكز العدو وتمكنا من احتلال (كازبلانكا) ذلك المركز الحربي الخطير الذي يحرص عليه العدو شديد الحرص حيث استولينا فيه على عشرات الرشاشات المدفعية ومئات البنادق والعتاد الحربية...والمعارك الأخيرة التي نشبت بيننا وبين الفرنسيين أسقطنا منهم 700 قتيل وجريح»[104].

وعلى اثر هذه الانتصارات بدأت وسائل الإعلام الأجنبية تهتم بقضيته؛ فالجريدة الإيطالية "La Tribuna de Roma" نقلت في عددها الصادر في 12 ديسمبر 1914 برقية من "غازيت دي فوس" البرلينية: إن عبد مالك قد احتل مدينة تازة بجيش قدره 15.000 جندي وأنه قد هاجم الدار البيضاء، حيث خسر الفرنسيون 700 رجلا. وما نشرته الجريدة السويسرية le journal de Genève" في عددها الصادر في 26 جانفي 1915 [105]. وجريدة "تصفير أفكار" في اسطنبول في عددها الصادر في 25 جانفي 1915 التي نقلت رسالة للأمير عبد المالك تحمل أنباء سارة عن الانتصارات التي حققها [106] ونظرا لذلك سارعت فرنسا إلى تفنيدها، واعتبرتها مجرد دعاية كاذبة؛ وأن عبد المالك ما يزال على وفائه للفرنسيين بدليل التهنئة التي وجّهها من طنجة إلى الرئيس الفرنسي بمناسبة رأس السنة الميلادية 1914-1915، متمنيا له النصر في الحرب[107]، والتي تكون قد فنّدت الأنباء الألمانية وعلى وفاء عبد المالك الموظف المخزني في طنجة[108].

لكن مع مطلع 1915 وضع عبد المالك معسكره أولا عند غياتة قبل الانتقال إلى سوق الأحد في بلاد كزناية، ثم إلى دائرة أكنول شمال تازة[109] معتمدا على المساعدات العثمانية والألمانية التي تلقاها، وحسب محمد أمطاط فإن عبد المالك قد عقد أول لقاء رسمي له مع الألمان في شخص العميل "فار Farre" في قبيلة غياتة،حيث طلب منه الانتقال إلى قرية بني سعيد قرب مليلية للبحث عن نقطة آمنة بالساحل المتوسطي لإنزال حمولة عسكرية لسفينة ألمانية، غير أن هذا الدعم لم يتم؛ وهو ما دفع

بعبد المالك إلى العودة نحو سوق كزيانة رفقة محمد البلغيتي؛ حيث بدأ في نصب الخيام التي اشتراها من مليلية وشرع في وضع نواة للعمل المسلح بقوة عسكرية قدرها 1000جندي[110].

وحسب ما صرح به "ليوتي Lyautey"[111] فإن عبد المالك عرّض المغرب في الفترة الممتدة من منتصف سنة 1915م إلى منتصف سنة 1916م إلى هزات شديدة زعزعت الوجود الفرنسي، خاصة بعد نجاحه في استقطاب بعض الشخصيات الفاعلة من قبيلة بني ورياغل القوية، وزيارته لعائلة الخطابي في أغادير، وحصوله على دعم الخطابي له، كما زار أيضا قبيلة بني توزين في سبتمبر 1915م، هذا إلى جانب زيارته لمناطق أخرى لكسب دعم الريفيين لقضيته[112].

1-2 معركة سوق الحد: تتضح معالمها من خلال توصل عبد المالك إلى امتلاك قوة عسكرية هائلة قادرة على القيام بحرب عصرية[113]، ونلمس ذلك من خلال سيطرة عبد المالك على منطقة جغرافية شاسعة يصل طولها حوالي 200كم شمال منطقة تازا[114]. ولاحتواء هذا الخطر قامت فرنسا بإرسال الجنرال "هنريس Henrys" نحو هذه المنطقة لإدارة العمليات العسكرية بنفسه ضد عبد المالك؛ وأمام التفوق العسكري الفرنسي تمكنت سرية عسكرية فرنسية من محاصرة معسكرات عبد المالك بسوق الأحد كزناية وإحراق 150 خيمة من خيامه وقتل العديد من جنوده[115]. الشيء الذي دفعه إلى مغادرة جنوب تازا، والانتقال نحو شمالها ليستقر في الأخير على خط الحدود مع منطقة النفوذ الإسباني في جويلية 1916 [116].

استغلت الدعاية الفرنسية هذا التراجع واعتبرته بداية النهاية له، وفشل ذريع للخطة المشتركة العثمانية–الألمانية، خاصة بعد انسحاب بعض الضباط العثمانيين من المغرب، ولرفع معنوياته وردت عليه رسالة من سفير ألمانيا ونائب الدولة العثمانية بمدريد في 25 ماي 1916: «قد وصل لعلمنا أن في المغرب صار الخبر أن خروج الضباط

العثمانيون من خدمتهم في المغرب قد سببه تبريد المعاهدة والصحبة بين الدولتين الألمانية والعثمانية، والآن نعلمكم أن كل ذلك هو أكاذيب وأن الدولتين المذكورتين يجتهدون الآن كما فعلوا في الماضي جميع جهدهما لينصروا (كذا) على أعداء الإسلام»[117].

وما زاد الوضع تدهورا بالنسبة للفرنسيين هو التأييد الذي تلقاه عبد المالك من عائلة الخطابي، فالفقيه عبد الكريم زوّد عبد المالك بمبلغ من المال، كما قام بزيارته برفقة المئات من الريفيين في مقر إقامته في نهاية شهر أوت 1916 [118]. هذا إلى جانب تمكنه من ربط علاقات وثيقة جدا مع أحمد الرّيسوني؛ وهي كلها معطيات جديدة في صالح الأمير عبد المالك.

1-3 –معركة تازة: رغم انسحاب عبد المالك من منطقة فاس–تازا، فإنها ظلت مجالا خصبا لنشر أفكاره التحررية، كونه ظل على اتصال مستمر بالسكان، وهذا ما ساعده على العودة إلى تلك المنطقة مع مطلع سنة 1917، الشيء الذي دفع "ليوتي إلى زيارة المنطقة بنفسه خلال شهر جويلية واصفا عبد المالك برجل الساعة. ومرد ذلك جملة من المعطيات[119]:

–بناء على رأي "هاريس" فإن عبد المالك كان يتلقى كمية ضخمة من المال والسلاح والمعدات من طرف ألمانيا.

–ارتفاع سمعته بين المغاربة مما ساعده على أن يجند عددا هائلا منهم رغم الهزائم التي لحقت بحلفائه الألمان والعثمانيين.

ونظرا لإشراف "ليوتي" على العمليات العسكرية، ألحق عدة خسائر في صفوف عبد المالك، فتراجع قليلا إلى الوراء برفقة الجاسوس الألماني"هيرمان" لاستدراج العدو إلى القسم الشمالي من جبال تازا، في الوقت الذي انفصلت عنه جموع كبيرة من أنصاره[120]، لكن هذا لم يمنعه من ربط اتصالاته مع أحد زعماء المقاومة في تافيلالت في

موفى شهر أفريل 1917، بمعية بعض الشرفاء رغبة منه في الحصول على الأموال والأسلحة لكنه لم يتحصل على أي شيء[121].

ومع مطلع سنة 1918 تحركت الدعاية الفرنسية في اتجاه تضخيم الموقف، حيث اعتبرت هذه السنة سنة الهجوم الألماني الكبير في المغرب، وأن عبد المالك بات له دور كبير وفعال في هذه العملية، وفعلا فالدعم العسكري الهائل الذي تلقاه سابقا؛ مكّنه من شن هجوم عسكري على القوات الفرنسية المتمركزة بجنوب تازا في أفريل 1918، تكبدت فيه القوات الفرنسية خسائر فادحة، وبالخصوص في جيش الصبايحية الجزائريين كونهم كانوا في الواجهة الأمامية للمعركة[122]. وبعد نهاية هذه المعركة تحدثت التقارير الفرنسية عن الدعاية التي كان يقوم بها عبد المالك جنوب منطقتي الريف وتازا عند غياته وبني وراين، وعن دعمه المادي لكل من أحمد الهيبة، وموحاوْسعيد، وعلاقته بالألمان؛ ومما جاء فيها: «إن العلاقة ليست سهلة، وعلى الرغم من أنهم يزودونه بما يحتاج إليه من مال وسلاح ورجال، فإنهم لا يتحكمون فيه كما يريدون، فهم لا يقودونه إلا بصعوبة، وغالبا ما تكون علاقته بهم متوترة، وهو كثيرا ما يطلب تغيير المندوبين الألمان وينجح في ذلك»[123].

ثم تحدثت أحد التقارير الصادرة عن "ليوتي" في 10 أفريل 1918، عن وصول عبد المالك إلى قبيلة تمسمان للتفاوض في شراء شاطئ سيدي إدريس لاستخدامه في عمليات إنزال السلاح الألماني، وتحدث بعضها الآخر عن اتصالاته بالقبائل قصد توفير مهابط للطائرات على أراضيها[124]، ويعلق الجنرال "ليوتي" عن هذه التقارير بالقول: «إذا كان صحيحا ما أشيع عن توفير مهابط طائرات في أراضي بعض القبائل الريفية، فإن الطائرات الألمانية تستطيع عندئذ المرور خلال أجواء الريف الأوسط، وأن تهاجم التجمعات العسكرية الفرنسية، بل وبعض المدن في منطقتنا ثم تعود من حيث أتت»[125].

وفي 20 أكتوبر 1918 يتوصل "ليوتي" بتقرير من إدارة الشئون الأهلية، بخصوص النفوذ القوي لعبد المالك في منطقة الإسبانية، وعلاقاته القوية التي ربطها مع حولي 200 شخصا ما بين أجنبي ومغربي، وفي تقرير آخر صادر في 25 نوفمبر 1918 عن "ليوتي" أيضا إلى وزير الخارجية الفرنسي "بيشون Pichon" يشير إلى تحركات عبد المالك:«عبد المالك انسحب من منطقة الحدود في اتجاه الشمال، وإنه ربما يكون قد توجه إلى تطوان أو إلى معسكر الريسولي، وأن العناصر التي كانت معه انسحبت بدورها إلى نواحي مليلية»[126]. وفي الأخير يلح على وزير الخارجية بمطالبة اسبانيا بتسليم هؤلاء جميعا إلى فرنسا وهو ما تم فعلا؛ حيث سلّمت اسبانيا ما مجموعه 60 رجلا من أتباع عبد المالك الملتجئين بمنطقتها[127].

2-المرحلة الثانية: 1919-1924: إن المرجعية التي اعتمدناها لم تقدم لنا بما فيه الكفاية التطورات التي عرفتها الثورة خلال هذه المرحلة، مما اعتبره البعض فترة سبات بالنسبة للأمير عبد المالك[128]، لكن الوثائق التي سبق لأبي القاسم سعد الله أن أشار إليها، جعلتنا نعرف موقع عبد المالك من الأحداث خلال هذه المرحلة التي قسمناها إلى مرحلتين:

2-1.المرحلة الأولى: 1919-1920: بناء على الوثائق السابقة الذكر يمكننا تسمية هذه المرحلة بمرحلة المفاوضات والاتصالات التي أجراها مع الفرنسيين للحصول على الأمان وتوقيف القتال. مفاوضات ساهم فيها ضباط فرنسيون كالضابط "دي تيسة"[129]، والضابط "كانوت" ونلمس هذا التوجه من خلال الوثائق الآتية:

-الوثيقة الأولى: رسالة مجهولة المصدر[130] موجهة إلى عبد المالك، في 16 سبتمبر 1920، والتي نستخلص منها ما يلي:

1-تواجده بالقرب من فاس. 2-سريان المفاوضات بينه وبين الفرنسيين. 3-حرصه على حضور موظف رسمي، وتشير الرسالة إلى أن هذا الأخير هو في طريقه إلى الحضور، بعد

أن يمر بالرباط لأخذ تعليمات المخزن في ذلك. 4-وجود اختلاف في الطريق الذي سيسلكه عبد المالك بعد انتهاء العمليات العسكرية، وهو هل سيتوجه مباشرة إلى تطوان لزيارة أهله ورؤيتهم قبل التوجه إلى مقابلة الجنرال "ليوتي" في الرباط؟، أم يقوم بزيارة "ليوتي" ثم يقوم بزيارة أهله فيما بعد؟.

–**الوثيقة الثانية**: قبل الحديث عن هذه الوثيقة يجب الإشارة إلى أن عبد المالك قد بعث برسالة إلى قائد الحياينة ضمّنها جس نبض الفرنسيين في حالة توقفه عن الكفاح، وهل بإمكان "ليوتي" منحه الأمان؟. فنقل قائد الحياينة هذا الانشغال إلى "موريال Maurial" الذي نقله هو الآخر إلى "ليوتي"، الذي وافق على منح الأمان لعبد المالك ولكن بشروط[131]:

1-الاستقرار في مدينة محددة بمنطقة الحماية الفرنسية مع الترخيص له بإحضار عائلته. 2-ضمان وسائل العيش الكريمة له ولعائلته عبر منحة مالية شهرية. 3-السماح له باسترجاع كل أملاكه في طنجة. ولقد تم تبليغ هذه الشروط إلى عبد المالك، بواسطة الضابط الفرنسي "كانوت" الذي سبق له تولي نائبا لملحقة الحياينة[132]، ضمن رسالة مكتوبة باللغتين العربية والفرنسية، فتسلمها عبد المالك منه شخصيا؛ وعليه كيف كان موقفه من الشروط الفرنسية التي تضمنتها هذه الرسالة؟. يمكننا الإجابة عن ذلك من خلال الرسالة التي بعثها إلى الجنرال "**موريال**"، وهذا ما عبرت عنه الوثيقة الثالثة:

3-الوثيقة الثالثة: هي عبارة عن رسالة بعث بها عبد المالك إلى الجنرال "**موريال**"، في 7 أكتوبر 1920، والتي ضمّنها جوابه عن الشروط الفرنسية السالفة الذكر: **1**-رفضه اعتبار حركته تمردا[133]. **2**-رفضه تسمية طلب حصوله على الأمان من الفرنسيين بالاستسلام «ولكن إذا شئتم من الناحية اللغوية التوقف النهائي للوضع الحالي الموجود بيننا»[134]. **3**-الحصول على ترخيص من المقيم العام بمغادرة المغرب نحو اسطنبول. **4**-استرجاع ممتلكاته المصادرة في طنجة. **5**-رفض تحديد إقامته في أحد المدن التابعة لمنطقة

الحماية الفرنسية، ورفضة المرور والتنقل داخل التراب المغربي برخصة من السلطات الفرنسية. ويختم رسالته بتحديد مسار سفره حيث يشترط أن يكون عن طريق تطوان ليتمكن من رؤية أهله هناك، ثم يقوم بزيارة إلى مدينة الرباط، ويلح على إحالة هذه الشروط على "ليوتي" في أقرب وقت، وبما سيجيب به بواسطة قائد دائرة الحياينة[135].وعليه كيف كان موقف الفرنسيين من هذه الشروط؟[136].

بعدما أحاط "ليوتي" الخارجية الفرنسية بمضمون اتصالاته مع عبد المالك، في 24 أكتوبر 1920، اعتبر أن الشروط المقدمة له هي أقصى ما تستطيع فرنسا تقديمه له، وأكد قائلا: «لا يمكن لنا نسيان ماضي عبد المالك، خان فرنسا في المغرب...لكن ظل طيلة خمس سنوات يقود حملات ضدنا على رأس المتمردين في شمال منطقتنا»[137]، فتبنت الخارجية الفرنسية في الأخير اقتراحات "ليوتي"[138]. مما دفع بعبد المالك لمواصلة نضاله التحرري، بينما يصف البعض هذا التطور بالتمرد الجديد، ومما جاء فيه: «مما جعل عبد المالك يعلن عدم رغبته في الاستسلام، ويتحرك من جديد نحو الضفة اليمنى لنهر ورغة في بداية سنة 1921 لبداية فصل جديد من **التمرد**»[139]. وللعلم أن هذا التصريح هو لـ: "دانيال ريفي".

ورغم هذا الوضع الصعب؛ فإن القبائل المغربية ظلت على نصرتها له وهذا ما تضمنته رسالة أحد زعماء قبيلة مزيلات إلى عبد المالك[140]: « مقام الأسد الهمام والبطل المقدم الشريف الجليل والمحب الأصيل سيدي عبد المالك...اعلم سيدي نخبرك أن محلة الفساد أولاد خمليس فرّت وتفرقت من محل الرباط من قبيلة مزيلات ورجعت بالقهقري إلى بني سبت، ونزل عمر بن أحميد المنيسي بمزلات وصاحبك الحاج بقيش نزل بأولاد أزم بصنهاجة مصباح، ونعلمك بأن أولاد خميس لما هربوا أخذوا بيدهم زُكْروم متاع المدفع وخلوا حوايجهم من كثرة الخوف الذي وقع بهم في جملتهم».21 جمادى الآخر 1338هـ.[141]

2-2. المرحلة الثانية: 1921-1924: مع مطلع شهر مارس 1921، أظهرت الوثائق الفرنسية مرة أخرى اهتماما بعبد المالك، حث أشار التقرير الذي قدمه " ليوتي" إلى وزير الحربية الفرنسي "بيرتُو Berthou" المؤرخ في 25 جويلية 1921: - «إن كل القبائل المجاورة للورغة انضمت إليه، وأنه يدير المنطقة التي يسيطر عليها بعدل ونظام...وأنه يتمتع بنفوذ قوي كشريف أولا وكأمير له ثقافة واسعة»[142]. –موقفه غير المعادي للفرنسيين: «إن عبد المالك لا يعادي الآن الفرنسيين، وهو لا يتحدث أبدا عن الاستسلام لهم، وإنما عن هدنة معهم ويرغب في الاتفاق مع فرنسا من أجل استقلاله بالمنطقة التي يحتلها»[143]. – توفره على قوات عسكرية هائلة تقدر بـ 6000 بندقية — ضرورة تقديم الدعم الفرنسي لكل من عبد الرحمان الدرقاوي الذي تخضع له قبيلة بني زروال القوية [4000 بندقية]، وعمر بن حميدو زعيم قبيلة مرنيسة[144].

ويحاول عثمان بناني بناء على قراءته للجريدة الإسبانية "El Eco de Tetouan" الصادرة بتطوان في 23 جوان 1921، تحديد المساحة التي يحكمها عبد المالك في هذه الأثناء بحوالي 160 كلم^2، وهو ما لم يشير إليه تقرير "ليوتي"[145].

ونظرا للضغط المسلط عليه في منطقة النفوذ الفرنسي وظهور الخطابي بها، انتقل نحو منطقة النفوذ الإسباني، وهنا تبدأ بعض الكتابات تُشعل نار الفتنة في العلاقة التي ستربط عبد المالك بالخطابي، رغم التأكيد على أن الخطابي زار عبد المالك في منطقة الورغة في موفى سنة 1921، لكنه لم يستطيع التفاهم معه[146]. ناهيك عن تراجع بعض أبناء قبيلتي بني عمر وكَزناية عن عبد المالك والتحاقهم بعبد بالخطابي مع مطلع شهر مارس 1923، وإعلان زعماء بني زروال عن تأييدهم له.

وفي هذه الأثناء دارت معارك ضارية بين أنصار الخطابي وقوات عبد المالك، انهزم فيها هذا الأخير حسب عثمان بناني[147]؛ غير أن سعد الله يرى أن الدائرة فيها كانت على الخطابي[148]، مما دفع بعبد المالك إلى الانسحاب من ورغة نهائيا واللجوء

إلى منطقة تطوان التي وصلها في 18 جوان 1923 [149]. حيث عرض خدماته لصالح اسبانيا بقيادة إحدى الفرق بالقوات الإسبانية، لكن سعد الله يرى أن هذا العرض تقدم به سنة 1921، وهو قيادة الجنود المغاربة في جيشها[150].

بعدما تم الاتفاق بين الطرفين تعهدت اسبانيا بتقديم المساعدة لعبد المالك، على أن يكون من حقه تجنيد الجنود ليحرر بهم ما يشاء من البلاد، فإذا احتل فإنه يصبح مستقل ولا يدخله الإسبان[151]. وعندما تدخلت فرنسا لدى اسبانيا في شأن تسليمه لها، ردت بعدم قدرتها على تنفيذ ذلك، لكنها طلبت منه التخلي عن مكان القيادة[152]. ومن هناك راح عبد المالك يجند الجنود ويعد العدة للمعركة الفاصلة بينه وبين العدو الفرنسي الذي كانت تتواجد في صفوفه الأمامية قوات الخطابي. ونظرا لهذه التطورات الحاصلة وبعيدا عن كل المغالطات، يمكننا القول: إن كل من الخطابي وعبد المالك قد أصبحا محل استقطاب واحتواء من طرف ألد أعدائهم، فالأول استقطبته فرنسا ضد اسبانيا وحليفها عبد المالك على اثر إعلانه استقلال منطقة الريف في جانفي 1923، ونظرا لحربه الموجهة ضد الإسبان تعاون مع الفرنسيين، ومن دلائل هذا التعاون هو إرسال الخطابي لأخيه نحو فرنسا يطلب مساعدتها، فاشترطت عليه مواجهة عبد المالك[153]. والثاني استقطبته اسبانيا ضد فرنسا وحليفها الخطابي، ولا يمكن الحكم مسبقا على أن عبد المالك حارب أو وقف ضد الخطابي. ومجمل تحركاته موجهة ضد الفرنسيين وحلفائهم في المغرب. تحركات أسفرت عن معركة عزيب ميضار[154].

–معركة عزيب ميضار واستشهاد الأمير عبد المالك: على اثر تحرك القوات العسكرية الإسبانية من مليلية في جويلية 1924م نحو غرب منطقة عزيب ميضار في أراضي بني توزين؛ كلفت الأمير عبد المالك للإشراف على هذه العملية نظرا لما لديه من قوات عسكرية، كما دعمته بمدفعية قوية، وهيأت ميدان عملياته العسكرية بقذف جوي كثيف.

ومقابل ذلك أعد الخطابي خطة لمواجهة الموقف، فوضع على رأس مقدمة جيشه القائد موح أرذاذ، الذي وضع تحت تصرفه حوالي 50 رجلا من صفوة المقاتلين[155]، ويذكر سعد الله أن الأمير حسن كان حاضرا في هذه المعركة التي بدأت صبيحة يوم 09 أوت 1924 وانتهت في الساعة العاشرة باستشهاد عبد المالك، بعدما أصابته رصاصة في صدره من أحد القناصة، فذهب الريفيون إلى أن الإسبان هم الذين قتلوه، بينما ادعى هؤلاء أن الريفيين هم الذين قتلوه[156].

وبخصوص هذه النقطة تذكر حفيدته نقلا عن جدتها أن عبد المالك أقام احتفالا كبيرا بالنصر، وكان على ظهر جواده يجوب صفوف المجاهدين، ويتابع أفراحهم وإذ برصاصة تطلق من جهة الأشجار فتصيب قلبه؛ فسقط شهيدا أمام أعين ابنه حسن، الذي اعتقد أن قناصا من رجال الخطابي قد قتله، بينما الأمير مصطفى استبعد الفكرة، مبررا ذلك بكون الخطابي رجل مسلم ومؤمن لا يمكنه الغدر، وكان يؤكد أن القناص كان اسبانيا، ومرد ذلك المخاوف التي باتت تتأكد لها، من أن عبد المالك سينقلب عليها بعد انتصاره على فرنسا. ولقد تم نقل جثمان الأمير عبد المالك إلى تطوان ليوارى الثرى يوم 8 محرم 1343هـ/ 9 أوت 1924م[157]. ومن أهم النتائج التي يمكن أن نخلص إليها من هذا المقال:

نتائج الثورة:

-التأكيد على الدعم الذي قدمه الأمير خالد للحركة الوطنية المغربية، ويبدو ذلك من خلال وقوفه إلى جانب ابن أخيه عبد المالك بالمغرب، ومشاركته من منفاه بباريس سنة 1924 في حملة دعائية لصالح ثورة الريف بالمغرب[158].

-المساهمة الفعالة للأمير عبد المالك في الحركة الوطنية المغربية[159].

-التأكيد على البعد الجزائري -المغربي والعربي -الإسلامي الذي اكتسته ثورة الأمير عبد المالك بالمغرب.

–الأمير عبد المالك يعتبر بطلا وليس مغامرا كما يصفه الفرنسيون ومن سار على نهجهم، وليس جاسوسا دوليا، وليس عميلا لا لهذا ولا لذاك، بل ثورته كانت تُعبر بكل صدق وإخلاص عن تحرير المغرب من نير الاستعمار الغاشم الذي تسلط عليه، ونلمس ذلك من خلال تصريحاته التي كان يؤكد فيها على هذا المسعى النبيل، وسأكتفي بذكر البعض منها:

–لقد جاء في افتتاحية الصحيفة العثمانية "تصغير أفكار"[160] في عددها الصادر في 17 كانون الأول 1914م، ما يلي: «لقد أعلن صاحب الشأن أمير فاس الأمير عبد المالك استقلال المدينة وتطهيرها من رجس الفرنسيين المحتلين بالهمة والعزيمة، وهو يعلن الجهاد المقدس من مدينة فاس مباشرة، وحتى تطهير كامل التراب الجزائري من المحتلين»[161]. ونشرت نفس الجريدة مقال للأمير عبد المالك في عددها الصادر في 1330هـ، جاء فيه: «فالمجاهدون أصبحوا بحمد الله أكثر عددا وأكبر شأنا وأوفر قدرة، ومدينة فاس في طريقها إلى التحرر من الفرنسيين»[162].

ثم يواصل الحديث عن نفسه قائلا: «إنني أجاهد لا من أجل بلدي فاس فقط، بل من أجل وطني الجزائر بأكمله، والقرار الذي اتخذته هو الجهاد الذي فرضته الشريعة الإسلامية إلى أن أصل إلى هدفي وهو تحرير الوطن، وبعد ذلك سأترك السلاح ولا أريد شيئا آخر سوى الاستقلال الكامل لبلادي»[163]. ويختم مقاله بما يلي: «وبالنسبة لي كمجاهد فإن كل غايتي هي إرضاء رب العالمين عز وجل وعلا، ورفع راية الإسلام في ربوع بلادنا، فأعداؤنا الذين اغتصبوا الوطن الإسلامي علينا أن نطردهم منه، وليس غير ذلك، وهذا هو واجبي لهم»[164].

–التحامل الكبير وغير النزيه من لدن بعض الباحثين المغاربة على شخصية الأمير عبد المالك، وغايتهم النيل منه ومن نضاله الوطني الشريف، ومن بين ما جاء في أحد هذه الكتابات: « يبدو أن حركة عبد المالك لم يكن لها أي مشروع وطني لتحرير المغرب أو

شمال إفريقيا، بل هي حركة تمردية وعمل جهادي مزيف من طرف مسلم غير مغربي عرض خدماته على القوات المسيحية الباحثة عن تصفية حساباتها فيما بينها على أرض المغرب»[165]. ويقول في موضع أخر: «لكن تتبع مسار حركة عبد المالك بين سنتي 1912-1924، يدفع إلى إثبات أنها ليست إلا حركة تمردية تبحث لصاحبها عن الجاه والسلطة وبعيدة عن أي اتجاه وطني أو تحرري»[166]. ونحن نعتقد من جهتنا أن هذه الكتابات تتعارض تماما مع ما نسموا إليه وما نتحدث عنه رسميا وشعبيا في إرساء قواعد التعاون الفعال والمشترك بين البلدين الشقيقين الجزائر والمغرب. وإذا لم يُستثمر هذا الجانب المضيء من تاريخنا المشترك بضرورة تعليمه في مدارسنا وجامعاتنا لهذا الجيل المتطلع إلى أفق رحب؛ فإننا سنظل نراوح أماكننا بل سنعمل على تكريس مظاهر التنافر والتباعد فيما بيننا وإلى الأبد.

الهوامش:

1- ولدت بمدينة تطوان في ثلاثنيات القرن 20، ثم انتقلت برفقة عائلتها إلى دمشق، حيث درست بعدة معاهد، ساهمت في تأسيس عدة جمعيات نسائية، نشرت العديد من المقالات وألفت العديد من الكتب: الجذور الخضراء، ردود على مغالطات تاريخية، وما بدلوا تبديلا،..الخ. أجرينا معها مقابلة ببيتها يوم الخميس 10 جويلية 2008 في الساعة 10 صباحا.2

2- الأميرة بديعة الحسني، الجزائري: أصحاب الميمنة، مطبعة عكرمة، دمشق، 1997، ص. 403.

3- تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص. 563.

4- الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 2، أبحاث وآراء، ج. 1.

5- G.G.A: carton 7H série 23 la famille d'Abdelkader, Mustapha ben Hassan, Abed-Elmalek...et., Archives d'Outre-mer, Aix en Provence, France.

6- أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وأراء، ج. 1، ط. 2، ش، و، ن، ت، الجزائر 1401هـ/ 1981م، ص. 107.

7- الأميرة بديعة الحسني، الجزائري: أصحاب الميمنة، دار سلام للترجمة والنشر، دمشق، سوريا، 1997م، ص. 405.

8- يراجع بشأنه أطروحة الباحث: لعميد عبد العزيز: الشيخ طاهر الجزائري ودوره الإصلاحي في المشرق العربي، ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، 2001.

9- الأميرة بديعة الحسني، الجزائري: أصحاب الميمنة، المرجع السابق، ص. 405.

10- نفسه، ص. 406.

11- تولى الحكم سنة 1876، عرفت الدولة العثمانية في عهده عدة تغيرات واضطرابات سياسية، تم خلعه سنة 1909.

12- الأميرة بديعة الحسني، الجزائري: أصحاب الميمنة، المرجع السابق، ص. 407.

13- الأميرة بديعة: ثورة الأمير عبد المالك في المغرب، رواية شفوية، يوم الخميس 2008/07/10، بمنزلها بدمشق.

14- نفسه.

15- الأميرة بديعة الحسني، الجزائري: أصحاب الميمنة، المرجع السابق، ص. 415.

16- يراجع بشأنه: الشيخ عبد الرزاق البيطار: حِلْيَةُ البشر في تاريخ القرن 13، ج. 3، تحقيق محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، 1383هـ/ 1963م.

17- الأميرة بديعة الحسني، الجزائري: أصحاب الميمنة، المرجع السابق، ص. 421.

18- غير أن عبد الوهاب بنمنصور يذكر أن عبد المالك نزل بمليلية ومنها توجه نحو مدينة وجدة. يراجع: أعلام المغرب العربي، ج. 2، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1399هـ/ 1979م، ص. 84.

19- ولد في حدود سنة 1881م، تولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة 1894 وعمره 14 سنة، فبات يخضع لسيطرة كل من الوزير الأول ابّ أحمد (أحمد بن موسى) ولالّة رقية أرملة مولاي الحسن، وبعد وفاة الوزير الأول سنة 1900 بات عرضة للضغوطات الداخلية والخارجية، وأمام خطورة الوضع الذي آل إليه المغرب في عهده ثار ضده شقيقه عبد الحفيظ مما أدى إلى عزله سنة 1908. يراجع: المنجد في اللغة، ص. 366، ((موقف السلطات المغربية من حركة بوعمامة))، ص. 183.

20- الأميرة بديعة الحسني، الجزائري: أصحاب الميمنة، المرجع السابق، ص. 421.

21- الأميرة بديعة: ثورة الأمير عبد المالك في المغرب الأقصى، رواية شفوية، الحلقة الأولى، المصدر السابق.

22- ولد بمعسكر ما بين 1820-1825، هاجر نحو فاس سنة 1843 برفقة والده والفقيه السقاط، ثم انتقلوا إلى طنجة، وبقي هناك مدة من الزمن إلى أن أطلق سراح الأمير عبد القادر، التحق به الحاج علي بوطالب بدمشق؛ وظل معه هناك إلى سنة 1877 حيث عاد إلى الجزائر، حكمت عليه السلطات الفرنسية بالسجن لشتمه أحد رجال الشرطة، ثم طردته من الجزائر وحجزت أملاكه؛ فتوجه نحو طنجة سنة 1878م، قام بعدة أدوار رئيسية لصالح عدة جهات مختلفة. عاش بقية حياته في طنجة في هدوء وسكينة، توفي في 3 ديسمبر 1909م. يراجع: معلمة المغرب، مج. 9، ص. 2987

Les Musulmans Algériens au Maroc et en Syrie, R.M.M. Février 1910, P. 266.

23- الأميرة بديعة الحسني، الجزائري: أصحاب الميمنة، المرجع السابق، ص. 422.

24- احميده، عميراوي: الأمير خالد وخطاب الحركة الوطنية الجزائرية، دار الهدى، عين مليلة، 1907، ص. 73.

25- محمد، الحجوي: انتحار المغرب بيد ثواره، مخطوط ميكروفيلم، رقم 123ح، خ. ع. ر، ص. 41. يراجع: أعلام المغرب العربي، ج. 2، ص-ص. 84-85، الإتحاف، ج. 1، ص. 407، بوحمارة من الجهاد إلى التآمر، ص. 52، ((المجاهد بوعمامة من خلال بعض المصادر التاريخية المغربية))، المجلة التاريخية المغاربية، العددان، 29-30، ص. 430.

26- هو ابن الأمير عبد المالك.

27- أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وأراء، ج. 1، المرجع السابق، ص. 105.

28- عبد الوهاب، بنمنصور: أعلام المغرب العربي، ج. 2، المطبعة الملكية، الرباط. 1399هـ/ 1979م، ص. 84.

29- نفسه، ص. 85.

30- انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره، المصدر السابق، ص. 41.

31- أعلام المغرب العربي، ج. 2، المرجع السابق، ص. 85.

32- أفادتنا حفيدته بصورة كبيرة الحجم لعبد المالك بزيه العسكري، كما زودتنا بوثائق تاريخية هامة لم نتمكن من إدراجها.

33- من مواليد سنة 1862 تعلم القرآن الكريم على يد والده، ثم انتقل إلى مدينة فاس طلبا للعلم، شغل عدة مناصب مخزنية كان آخرها منصب الكتابة بديوان مولاي عمر بن الحسن، ونظرا لمحاولة هذا الأخير الاستيلاء على الحكم ووقوف بوحماره إلى صفه ألقي عليه القبض وتم سجنه، وبعد إطلاق سراحه توجه نحو المغرب الشرقي مطلع سنة 1900؛ حيث أسس زاوية على الطريقة الشاذلية، ثار ضد السلطان عبد العزيز، ألقي عليه القبض في 16 أوت 1909م. يراجع: محمد الصغير، الخلوفي: بوحمارة من الجهاد إلى التآمر، ص–ص. 23-63، مبارك، زكي: ((المجاهد بوعمامة من خلال بعض المصادر التاريخية المغربية))، المجلة التاريخية المغاربية، العددان، 29-30، ص. 427.

34- محمد بن الحسن، الحجوي: انتحار المغرب بيد ثواره، المصدر السابق، ص. 111.

35- عبد القادر، خليفي: ((موقف السلطات المغربية من حركة الشيخ بوعمامة))، مجلة جامعة الأمير عبد القادر ، ع. 12، ذو الحجة 1424هـ/ فيفري 2004، دار الهدى، عين مليلة، ص. 183.

36- نفسه، ص. 183.

37- مبارك، زكي: ((المجاهد بوعمامة من خلال بعض المصادر التاريخية المغربية المعاصرة))، المجلة التاريخية المغاربية، العددان، 29-30، السنة 10، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل، تونس، جويلية 1983، ص. 431.

38- أصحاب الميمنة، المرجع السابق، ص. 432.

39- هو الحاج موسى بن علي بن الحسين الدرقاوي الملقب بأبي حمار، من أصول مصرية، كان أحد المجندين في جيش محمد علي باشا، فتخلى عن منصبه وتوجه نحو طرابلس، ومنه توجه نحو الجزائر لإعلان الجهاد ضد الفرنسيين، فاستقر به المقام في نواحي المدية، اتهم في البداية بمهادنته للعدو، غير أن توقيع الأمير على معاهدة دي ميشال، دفعته إلى اتهامه بالتخلي عن الجهاد، فعارضه ومنعه من دخول المدينة، لكن الأمير انتصر عليه، فانسحب نحو الأغواط ثم توجه نحو ميزاب، شارك في ثورة الزعاطشة واستشهد فيها. يراجع: مذكرات الأمير عبد القادر، ص. 103، تحفة الزائر، ج. 1، 227.

-EL-Hadj-Moussa, ou L'Homme a L'Ane et l'emire abd-el-Kader, en 1835, R. A, N° 1, Années 1856-1857, P-P. 41-49.

40- لويس، أرنو: زمن "لمحلات" السلطانية الجيش المغربي وأحداث قبائل المغرب ما بين ^{1860}_^{1912}، ترجمة محمود ناجي بن عمر، مطابع أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ^{2002}، ص. ^{157}.

41- أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وأراء، ج. 1، المرجع السابق، ص. 107.

42- يذكر عكاشة برحاب أن عبد المالك قد التحق بالروكي سنة 1903، قادما من اسطانبول ووظف خبرته العسكرية لنصرته، وتخلى عنه في بداية سنة 1905. يراجع كتابه: المجال الحدودي بين المغرب والجزائر، ص. 113.

43- عياش، جرمان: أصول حرب الريف، ترجمة محمد الأمين البزاز، وعبد العزيز التمسماني خلّوف، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1992، ص. 211.

44- أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وأراء، ج. 1، المرجع السابق، ص. 107.

45- محمد الصغير، الخلوفي: بوحمارة من الجهاد إلى التآمر المغرب الشرقي والريف 1900-1909، ص. 43.

46- مبارك، زكي: المرجع السابق، ص. 434.

47- محمد بن الحسن، الحجوي: انتحار المغرب بيد ثواره، المصدر السابق، ص. 41.

48- عكاشة، برحاب: المجال الحدودي بين المغرب والجزائر، ط. 1، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 2002، ص. 113.

49- محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب ما بين سنتي 1830-1962، أطروحة دكتوراه، مرقونة، إشراف د/ محمد كنبيب، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط، ص. 121.

50- أبحاث وأراء، ج. 1، المرجع السابق، ص. 107

51- بديعة، الحسني الجزائري: مقاومة الأمير عبد المالك في المغرب، رواية شفوية،الحلقة الأولى، المصدر السابق.

52- بوحمارة من الجهاد إلى التآمر، المرجع السابق، ص. 53.

53- محمد بن الحسن، الحجوي: انتحار المغرب بيد ثواره، المصدر السابق، ص. 42.

54 – G.G.A: entretien du gouvernent générale de si EL-Hajoui 1904, carton 30H, série 14, Archives d'Outre-mer, Aix en Provence.

55 - G-G-A: carton 30H série 54, Archives d'Outre-mer, Aix en Provence, France.

56- يذكر لنا عكاشة برحاب عدة روايات بشأن عملية إلقاء القبض على الطيب بوعمامة يراجع: المجال الحدودي بين المغرب والجزائر، ص–ص. 113-114.

57- يذكر محمد الصغير الخلوفي في كتابه : بوحمارة من الجهاد إلى التآمر: إن الطيب بوعمامة يكون قد التحق بمدينة فاس بتدخل من الوفد الذي كان يرأسه أحمد الركينة، ص. 43.

58- محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الذي كان إذ ذاك أمينا لديوانة وجدة من طرف السلطان عبد العزيز.

59- محمد الصغير، الخلوفي: بوحمارة من الجهاد إلى التآمر، المرجع السابق، 52.

60- نفسه، ص. 43.

61- لويس، أرنو: زمن "المحلات" السلطانية الجيش المغربي وأحداث قبائل المغرب ما بين 1860-1912، ترجمة محمود ناجي بن عمر، مطابع إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص-ص. 157-158.

62- محمد بن الحسن، الحجوي: انتحار المغرب بيد ثواره، المصدر السابق، ص. [42].

63- محمد الصغير، الخلوفي: بوحمارة من الجهاد إلى التآمر، المرجع السابق، ص. [52].

64- أبحاث وأراء، ج. [1]، المرجع السابق، ص. [107].

65- عياش، جرمان: أصول حرب الريف، المرجع السابق، ص. [211].

66- مبارك، زكي: المرجع السابق، ص. [432].

67- تذكر حفيدته أن الغرفة التي كان يقبع فيها جدها بالسجن كانت رطبة ومظلمة، بحيث لم يكن يعرف ليله من نهاره.

68- انتحار المغرب بيد ثواره، المصدر السابق، ص. [43].

69- أصحاب الميمنة إن شاء الله، المرجع السابق، ص. [427].

70- انتحار المغرب بيد ثواره، المصدر السابق، ض، [44].

71 –G:G:A: lettre de Abdel Malek au Ministre des Affaires étrangères, le 10 novembre 1908, carton 7 H série 22-23, Archives de la France d'Outre-Mer, Aix en Provence.

72- محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. [139].

73- محمد الصغير، الخلوفي: بوحمارة من الجهاد إلى التآمر، المرجع السابق، ص. [52].

74- اللِّسان المعرّب عن تهافت الأجنبي حول المغرب، ط. 1، مطبعة الأمنية، الرباط، 1971م، ص. [132].

75- معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، الرباط، ج. [9]، ص. [2985].

76- أصحاب الميمنة، المرجع السابق، ص. [427]. غير أن أبو القاسم سعد الله يذكر في كتابه: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج. [1]، ص. [107]: إن الأمير عبد المالك اجتمع بأسرته في مدينة طنجة سنة [1912].

77- عياش، جرمان: أصول حرب الريف، المرجع السابق، ص. [211].

78- اللسان المعرب، ص. [132]،: انتحار المغرب بيد ثواره، ص. [45]، الحركة الوطنية الجزائرية، ج. [2]، ص. [238]، معجم أعلام الجزائر، ص. [104]، بوحمارة من الجهاد إلى التآمر، ص. [52]، معلمة المغرب، ج. [9]، ص. [2985].

79- أبحاث وأراء، ج. [1]، المرجع السابق، ص. [107].

80- يراجع بشأنه: الحركة الوطنية، ج. [2]، ص. [242].

81- أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. [2]، المرجع السابق، ص. [239].

82- نفسه، ص. [239].

83- أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. [2]، المرجع السابق، ص. [239].

84- نفسه، ص. [239].

85- محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. [178].

86- نفسه، ص. [178].

87- أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج. 1، المرجع السابق، ص. [108].

88- معلمة المغرب، ج. [9]، المرجع السابق، ص. [2985].

89- أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. [2]، المرجع السابق، ص. [240].

90- الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. [178].

91- هما محمد وعبد الرحمان البلغيتي، حلا بالدار البيضاء في [29] مارس [1921]، عائدين من مرسيليا؛ بعد حصولهما على الأمان من فرنسا، على اثر مشاركتهما إلى جانب عبد المالك، وقد قدم محمد البلغيتي أمام المراقب العام بالدار البيضاء " شارير [Charrir]" اعترافا تضمن معلومات مهمة عن حركة

عبد المالك ودور ألمانيا والدولة العثمانية، وأخبارا عن السلطان عبد الحفيظ في مدريد. يراجع بخصوص هذه القضية: الجزائريون في المغرب، ص–ص. 179_180.

92- أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 2، المرجع السابق، ص. 240.

93- هو أحمد الهيبة بن مصطفى بن ماء العينين، ولد سنة 1877م في الصمارة وبها نشأ وتعلم، ثار ضد السلطان عبد الحفيظ، وتمكن من دخول مدينة مراكش في جيش ضخم في رمضان 1330هـ، فتحالف السلطان مع الفرنسيين لوضع حد لحركته، انهزم في شهر سبتمبر في معركة سيدي بوعثمان. يراجع: الأعلام، مج. 1، ص–ص. 265_266.

_Centre d'études Arabes: le Maroc sous domination coloniale 1912-1945, P. 22..

94 _ Centre d'études Arabes: le Maroc sous domination coloniale 1912-1945, Ambassade de France, Rabat, sans date. P. 20.

95- بلغت المساعدات الألمانية 170 ألف فرنك في موفى سنة 1914. يراجع: الجزائريون في المغرب، ص. 180.

96- لعب دور كبير في ثورة الأمير عبد المالك، يراجع: أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 2، ص. 242.

97- بديعة، الحسني: أصحاب الميمنة إن شاء الله، المرجع السابق، ص. 425.

98- محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 180.

99- عثمان، بناني: ((عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين)، وثائق عهد الحماية رصيد أولي، تنسيق إبراهيم بوطالب، منشورات ك، آ، ع، إ، جامعة محمد 5، الرباط، ط. 1، مطبعة فضالة، المحمدية، 1996، ص–ص. 80-81.

100- صنعت من قماش الحرير الأخضر، طولها 4 م وعرضها 2م، وكانت لا تجلس أمام النوال دون وضوء؛ وأول جملة طرزتها الله أكبر والجنة تحت ظلال السيوف، بالحرير الأصفر، استغرقت فيها 7 أشهر. الأميرة بديعة، رواية شفوية، الحلقة 1.

101- بديعة، الحسني: أصحاب، المرجع السابق، ص. 449.

102- أبحاث وآراء، ج. 1، المرجع السابق، ص. 107.

103- معلمة المغرب، ج. 9، المرجع السابق، ص. 2985.

104- أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وأراء، ج. 1، المرجع السابق، ص–ص. 116-117.

105- عثمان، بناني: ((عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين))، المرجع السابق، ص. 78.

106- أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 2، المرجع السابق، ص. 241.

107- المرجع نفسه، ص. 241، يراجع أيضا: ((عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين))، ص. 79.

108- عثمان، بناني: ((عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين))، المرجع السابق، ص. 78.

109- محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 179.

110- نفسه، ص. 179.

111- يراجع بشأنه: -Centre d'études Arabes: le Maroc sous domination coloniale, P 16-17

112- عثماني، بناني: معلمة المغرب، ج. 9، المرجع السابق، ص–ص. 2985_2986.

113- المرجع نفسه، ص. 180.

114- عثمان، بناني: ((عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين))، المرجع السابق، ص. 82.

115- محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 180.

116- عثمان، بناني: ((عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين))، المرجع السابق، ص. 82.

117- أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج. 1، المرجع السابق، ص–ص. 121-122.

118- عثماني، بناني: معلمة المغرب، ج. 9، المرجع السابق، ص. 2986.

119- أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 2، المرجع السابق، ص. 243.

120- محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 181.

121- نفسه، ص. 182.

122- نفسه، ص. 182.

123- عثمان، بناني: ((عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين))، المرجع السابق، ص. [83].

124- عثمان، بناني: معلمة المغرب، مج. [9]، المرجع السابق، ص. [2986].

125– عثمان، بناني: ((عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين))، المرجع السابق، ص.[84].

126- نفسه، ص. [84].

127- عياش، جرمان: أصول حرب الريف، المرجع السابق، ص. [249].

128- عثمان، بناني: ((عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين))، المرجع السابق، ص. [85].

129- أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج. [1]، المرجع السابق، ص–ص. [124].

130- المرجع نفسه، ص–ص. [123_125].

131- محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. [183].

132- أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج. [1]، المرجع السابق، ص–ص. [124].

133- نفسه، ص–ص. [125].

134- نفسه، ص. [124].

135- أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج. [1]، المرجع السابق، ص–ص. [126].

136- محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. [184].

137- نفسه، ص. [184].

138- نفسه، ص. [184].

139- بديعة، الحسني: أصحاب الميمنة إن شاء الله، المرجع السابق، ص. [434].

140- نفسه، ص. [434].

141- عثمان، بناني: ((عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين))، المرجع السابق، ص. [85].

142- نفسه ، ص. [85].

143- نفسه، ص. [86].

144- نفسه، ص. [86].

145- نفسه، ص. [86].

146- معلمة المغرب، ج. [9]، المرجع السابق، ص. [2987].

147- الحركة الوطنية الجزائرية، ج. [2]، المرجع السابق، ص. [243].

148- عثمان، بناني: ((عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين))، المرجع السابق، ص. [87].

149- الحركة الوطنية الجزائرية، ج. [2]، المرجع السابق، ص. [243].

150- أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج. [1]، المرجع السابق، ص. [109].

151- نفسه، ص. [243].

152- نفسه، ص. [109].

153- هناك قريتان في شرقي بني توزين احداهما تسمى ميضار، والأخرى عزيب ميضار، وهذه الأخيرة تعتبر امتدادا للأولى من الناحية الفلاحية، ولذا سميت العزيب، أما في الوقت الحالي فقد غلب اسم ميضار على القرية الأخيرة.

154- مصدر مجهول، ص. [321].

155- أبو القاسم، سعد الله: أبحاث، ج. [1]، المرجع السابق، ص. [110].

156- تذكر حفيدته أن أحد أبناء الخطابي–رشيد– بعد التحاقه بالكلية الحربية بحمص. وسمع بوجود عائلة عبد المالك بدمشق فتقرب منها لطلب يد ابنة الأمير حسن للزواج. فرفض والدها لاعتقاده الخاطئ، ثم بعد فترة تعرف على الأمير سعيد الذي كان على رأي الأمير مصطفى من كون الخطابي لا علاقة له بالغدر، فوافق على تزويج ابنته صفية لابن الخطابي.

157- عثمان، بناني: معلمة المغرب، ج. [9]، المرجع السابق، ص. [2987].

158- احميده، عميراوي: الأمير خالد وخطاب الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص. [85].

159- أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 2، المرجع السابق، ص. [249].

160- تُرجم هذا المقتطف من طرف سهيلة إسماعيل، رئيسة قسم الترجمة، وزارة الثقافة، أصحاب الميمنة، ص. 436.

161- بديعة، الحسني: أصحاب الميمنة إن شاء الله، المرجع السابق، ص. [437].

162- نفسه، ص. 438.

163- نفسه، ص. 438.

164- نفسه، ص. 438.

165- محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 186.

166- نفسه، ص. 178.